ملامح صورة الثورة التحريرية
في المخيال الإعلامي

الأستاذ: محمد بغداد

جامعة وهران 1

1- توطئة

إن التجربة الإعلامية الجزائرية، بالرغم من جذورها التاريخية، التى تعود إلى بداية القرن العشرين، في ظل الاستعمار الفرنسي، والتي كانت في إحدى ابعادها ممارسة لنوع من المقاومة، واثبات الذات المتميزة عن الآخر المسيطر، وأنها الوسيلة الجديدة الوافدة مع هذا المستعمر، إلا أنها كانت الوسيلة التي يمكن من خلالها التعبير عن الذات، وتقديم ثقافة هذه الذات للآخرين. (1)

وإن استطاع هذه النوع من المقاومة، تحقيق الكثير من الانجازات التاريخية المهمة، خاصة على المستوى الرمزي والثقافي، في تلك الاجواء المتسمة بالمواجهة والصدامية،(2) مما جعل منتوجها في مقبل الأيام يتحول إلى تراكم تاريخي مهم، تمكن في فترة قصيرة من الانتقال إلى مستوى المرجعية المؤسسة لممارسة إعلامية، لها من القيم والأدبيات، ما يجعل الأجيال القادمة، من الظفر بالاطمئنان على ذاتها، والشعور بالانتماء إلى ممارسة تاريخية، تصلح أن تكون قاعدة للإنطلاق إلى الانخراط في المستقبل، بعيدا عن منغصات اليتم الفكري والفقر الذهني.

وإن استطاع الرواد الأوائل(3) تأسيس هذه القواعد، ويقدموا النموذج الميداني للممارسة الإعلامية المحكومة بظروفها التاريخية، إلا أن ذلك، لم يكن حاجزا أو مانعا من إمكانية بل من حتمية الانفتاح على الجديد، ووجود القدرة الكافية لتحمل تكاليف الاثراء، وإضافة المزيد من التحوير التي تنتجها مجهودات الاجيال الجديدة.

إلا أن الذي حصل في السنوات الأخيرة(4) هو تلك الانتكاسة، التي ابتعدت فيها الأجيال الجديدة، عن فرصة المساهمة التاريخية المناسبة، وهي الأجيال التى حرمت من روافد المؤسسات والنخب، المسأمنة على المنظومة المعرفية، التي تجد الكثير من التبرير في مجموعة من الظروف، التي لا يسعفها الدعم المنطقي.

2- مدخل مفاهيمي:

في الغالب ليس هناك إتفاق واضح في الدراسات الاجتماعية، على مفهوم للمشهد، إلا أن تعدد التعريفات والمفاهيم، المرتبطة بمواقع أصحابها والمقاربات التي تقدم للموضوع(5) ، تجعلنا نضع مفهوما يكون قريبا من تلك المجهودات المعرفية، ويعمل على التوصل إلى أرضية اتصالية، تحقق الأهداف الكبرى، من تناول الموضوع، ولذا ستكون من المجازفة المنهجية، اعتماد مفهوم المشهد الثقافي التاريخي ، في الإطار الذي تكون دلالته بكونه تلك: "المكونات الأساسية الفاعلة والمشكلة لطبيعة الحراك التاريخي، المبرز في محصلة نشاطه معالم هوية المجموعة الذاتية، ما يجعل من العملية الثقافية في مستوى

الاهتمام الأول والبالغ درجة التحكم في مصير المجتمع والمحدد لمكانته في التاريخ، ولن يكتب للإنتاج الثقافي تنفيذ الأهداف الكبرى، ما لم يتم اندراجه في سياق العملية الإعلامية الحديثة.(6)

كما تتناول الدراسات الفلسفية والاجتماعية، مفهوم المخيال من زوايا متعددة في اغلبها تقول بأنه :"مجموعة الصور التي تتشكل تاريخيا في الذاكرة الجماعية، لدى فئة ما عن قضية من القضايا، والتي تستثار في أية لحظة بشكل لاواعي، مجسدة السلوك القائم"، (7) وعند مقاربة المفهوم في السياق الإعلامي، وعند تفحص المسار العام للممارسة الإعلامية الجزائرية في النطاق الثقافي، على وجه التحديد، نجد أنها ممارسة في جانبها التصوري، ذات سلمية هرمية واضحة المعالم، تحصر الخبر التاريخي في حيز ذهني ومكاني، ويضبط إيقاعه قاموس لغوي، لا يخرج عن إطار الهامش من طبيعة والحياة ونشاطها الكلي، فتقوم الممارسة الإعلامية بمحاصرته في إطار النشاطات الهاميشية، وتخرجه من نسق النشاط الإنساني الكلي، فهو إما قصيدة شعرية أو حفل موسيقي أو عرض فيلم سينمائي أو مهرجان أدبي وما يلحقه من مجموعة نشاطات إبداعية تلمس هوامش الحياة.(8)

إلا أن المفهوم الطبيعي للثقافة يجعل الخبر التاريخي ، مجموع الآليات المنتجة لإدارة راقية للشأن العام، للمجموعة البشرية وحماية مصالحها وترقيتها، ويعتمد على مجموع المخزونات الثقافية، ومحصيلات التجارب التاريخية لتلك المجموعة، ويتبعه في ذلك الخبر الاقتصادي، الذي يوضح قدرات النخب في التعامل مع الثروات الجماعية، وأساليب استثمارها وجعل المجموعة تستفيد من نتائجها في تحسين مستويات معيشتها، ويأتي في السياق الخبر العسكري والخبر الرياضي، وغيره من الأخبار التي تعني بالشأن العام، تقدم معالم ثقافة أمة من الأمم أو شعب من الشعوب، وهي المعاني التي لا تخرج عن المفهوم المتداول لمعاني الثقافة.(9)

ان الشخصية التاريخية تكون في إطار رأسمال رمزي ذو بعد تاريخي دوره تلبية الحاجة النفسية والاجتماعية والفكرية لمجموعة بشرية في فترة زمنية من خلال اقناع الذات الجمعية بجدارة ممارستها التراكمية.(10) .

سنتناول مجموعة من العناوين الصحفية التي اختارتها المؤسسات الإعلامية.

جميلة بوحيرد تستغيث بالشعب الجزائري للعلاج في الخارج وترفض تبرعات أمراء خليجيين(جريدة الخبر في يوم الأحد 13 ديسمبر 2009)

أكاديميون ينتقدون التصريحات التي تخوّن صُناع التاريخ ويؤكدون : هناك خلل فكري ونفسي جعلنا نجانب المسارات التاريخية الصحيحة (جريدة الخبر في يوم 20 جانفي 2015)

كيف سقط في الكمين قبل 57 سنة ،كيف قتل العقداء الثلاثة عبان رمضان (جريدة جريدة الحياة يوم 19 ديسمبر 2015)

3- مبررات الموضوع

إن تناول العلاقة بين المشهد الثقافي التاريخي والمخيال الإعلامي، وفق المعطيات الجديدة في منظمة الإعلام وتكنولوجيات الاتصال، يفتح آفاق النقاش المتخصص، وفي مناخ تداولي تفرضه الاكراهات التاريخية القادمة، وتدفعه رغبة التطور التي تتملك الأجيال الجديدة، التواقة إلى الحصول على الاعتراف بقدراتها، وممارسة نشاطاتها، ويتم ذلك النقاش في أجواء المنطقية والمنهجية والجماعية، من طرف كل الفاعلين، بناء على النتائج التي ستعم الجميع، وينخرط في اتونها مصير كل عناصر المجتمع.(11)

4- الخدمات تاريخية:

إن الأمم والشعوب تقاس بمقدار منتوجها الإبداعي، المعبر عن عبقريتها ومستوى تعلقها بالحياة، واعترافها بإمكانياتها الفكرية، والتي تجسدها في إنتاج ثقافي متنوع، يشمل مختلف مجالات الحياة، ويكسبها الشرعية في التاريخ، ويمنحها الاعتراف من الآخرين، ويجعلها إحدى الحلقات الأساسية في المسيرة الإنسانية، وبمقدار ما يكون مستوى الإنتاج الثقافي، تكون مكانتها في التاريخ.(12)

وتصل الأمم والشعوب، إلى المستوى الحضاري، عندما تدرك أن الإنتاج الفكري والإبداعي، تكون قد سارت إلى الطريق الذي يجعل من التعامل مع منتوجاتها الثقافية، من الأمور السهلة والممكنة، وبالذات عندما يتعلق بالعملية الإعلامية، فإنها ستكون قادرة على إبراز المنتوج الثقافي في القوالب المناسبة، التي تجعل من العملية الإعلامية، محققة لأغراضها الطبيعية، وموفية للمرغوب منها، وتؤدي دورها وفق المعايير المتغيرة، حسب الأيام وتطوراتها المتجددة.(13)

5- القدرات التنافسية:

من المفروض أن الحركة الاقتصادية، من نتائجها الكبرى، تفاعل نوعي للعملية الإعلامية، وعندما تنتقل الحركة الاقتصادية، إلى مستوى الاستثمار في القدرات الإبداعية للإنسان، وقبلها تعترف بأنها مادة خام ومهمة، وبالإمكان الحصول على الأرباح، من خلال المغامرة فيها، فإن المجتمع يكون قد تمكن من الحصول على مستويات راقية، من التطور الحضاري، كون النخب الاقتصادية فيه، انتقلت إلى التفكير في الاستثمار في القدرات الذوقية والجمالية للإنسان، وهو الأمر الذي سيكون العامل الحاسم في أهم مراحل تطور المجتمع.(14)

إن قيام صناعات ثقافية، بعد تأسيس قواعد استثمارية واسعة، وتوفر الإطار القانوني، والاعتراف الاجتماعي بهذا الاتجاه، والتعامل معه، سيكون من أهم العوامل الحاسمة، التي ستدفع إلى أحداث التغيرات الهيكلية في بنية العملية الإعلامية برمتها، وتعيد النظر في أهم مفاصلها الفكرية والسلوكية. (15)

6- فلسفة المؤسسات

إن نجاح العملية الإعلامية مهما كان نوعها، ومهما تباينت أهدافها، فإن مصيرها مرتبط بمجموعة من الشروط المنطقية والحتمية، وفي مقدمتها قيام مؤسسات حقيقية وفاعلة، تكون الأداة المسوغة لتمهيد النجاح، والأمر هنا ليس مرتبط بذلك المفهوم المتداول عن المؤسسات، باعتبارها تلك الهياكل والمنشاءت

القاعدية المادية، وإنما المراد تلك المكونات المادية، التي تكون تحت تصرف الإنسان وتمتلك الإمكانيات المادية، وتتوفر على القيم والأدبيات، المولدة للأجواء المهنية المتطورة والسريعة، في اتخاذ القرار والسهولة في تنفيذها، ومراعاة أعلى درجات الدقة والبراعة والانجاز النوعي.(16)

لأن العملية الإعلامية عملية، متحركة ومتنوعة وسريعة، تتطلب سلوكات تتناسب مع طبيعتها، وخاصة في العصر الحديث، الذي يتميز بالتسارع والمؤقتية والتنوع، ومن هنا فإن المؤسسة الإعلامية الحديثة، تلك التي تتخلص من الثقافة التاريخية البيروقراطية، وتبتعد عن الجمود والتباطئ، وتتجنب الشخصنة وتنشد البراغماتية في العمل، وتستند على الذكاء والاستثمار في القدرات الإبداعية للإنسان.(17)

7- مناخ إبداعي مفتوح

بما أن العملية الإعلامية، هي عملية شاملة لمجموع النشاط الإنساني الكلي، خاصة في العصر الحديث، الذي أصبح الإعلام هو الرهان المصيري، لكل طرف يرغب في تحقيق الأهداف المرغوبة، إلا أن من متطلباتها الأساسية، تتمثل في الاستفادة القصوى من القدرات الإبداعية للإنسان، ولا يمكن تحقيق الاستفادة إلا من خلال توفر مناخ تواصلي، يوفر الطمأنينة لكل الراغب في الاشتراك في العملية الإعلامية، بأن إمكانية الاعتراف بقدراته وإمكانياته وإبداعاته ممكن، وأن عملية انخراطه في التاريخ ممكنة، وأن فرصة النجاح متوفرة، حسب الإمكانيات والإبداعات والمواهب، بدون حواجز ولا عراقيل، مهما كانت مستوياتها وطبيعتها(18) .

إن العصر الحديث، لم يعد يعير الاهتمام لتلك المزاجية والمعيارية، في تحديد الشروط الأساسية، أمام فرص الانخراط، وأن هناك معايير أخرى، تتمثل في قدرة الإنسان على الانجاز الجيد، والمستوى الإدراكي في المعرفة، وإمكانيات الموهبة، التي يتوفر عليها، والآفاق التي يرغب في الوصول إليها.(19)

8- المشهد الثقافي التاريخي .

إن مقاربة المشهد الثقافي التاريخي، في الظروف الحالية تتطلب الانتباه إلى التعامل اليومي مع صورة هذا المشهد، في منتوج المشهد الإعلامي، الذي يجسد معالم هذا المشهد، في إبرز الصورة، وما ينتجه يكون في الغالب، الكاشف عن تفاصيل كثيرة تعطي الفرصة لتلك الحالة، التي يعيشها في محطته التاريخية الحالية، والتي ليست نتاج زمن قصير، وإنما هي نتيجة تراكمات سابقة، وهي المعالم التي يمكن الإشارة إلى بعضها.(20)

9- النسق التاريخي:

إن لمسيرة التاريخية لأي مجتمع، يحتاج إلى مجموعة كبيرة من الجهود، التي تبذلها النخب التي تكون مهمتها الأولى والأساسية، انجاز من الإمكانيات والأدوات، التي تجعل من النسق التاريخي، قادر على مسايرة التطورات التاريخية الطارئة، دون أن تؤثر فيها أو تكون عقبة في طريقها.

إن النسق التاريخي الفاعل، بإمكانه أن يساهم بقدر كبير في الارتقاء بمستوى تأثير المنتوج الثقافي، مما جعل نموذج المشهد الثقافي التاريخي والإعلامي الجزائري، لا يعرف تلك التحولات البنيوية المفصلية،

التي تجعل من الثقافة التاريخية الجزائرية، تحرم من الكثير فرصة التطور والتحوير المناسبة، والتي تكون قادرة على الإجابة على أسئلة الأجيال الجدية، أو مسايرة التطورات القائمة في المجتمع وفي العالم.(21)
إن مثل هذه العطالة تسببت في الكثير من الآثار الصعبة والمؤلمة، وفي مقدمتها أنها لم يكن عندها آفاق مستقبلية، ولا برامج عمل ولا مراحل لانجاز مهماتها، ولا يوجد لديها أهداف حقيقية تسعى إلى تحقيقها، لكنها لا تمتلك نسقا تاريخيا فاعلا وقادرا على التكيف مع معطيات التحولات التاريخية. (22)

10- هيمنة الإيديولوجية

لقد خضعت النخب الإعلامية والثقافية في الجزائر، إلى الكثير من الصدمات العنيفة، كلفت الجميع الكثير من الآثار المدمرة، في الوقت الذي كانت فيها المراحل السابقة، تعرف تواصل وتفاعل مهم ونوعي، أنتج الكثير من النتائج المهمة بالرغم من الصعوبات التي عرفتها المراحل السابقة.
إلا أن المراحل الجديدة في السنوات الماضية، جعل من الكثير من النخب تقع في مستنقع الانتماءات، إلى الإيديولوجيات التقليدية، التي منحت النخب من التجاوب مع التحولات الإيديولوجية في العالم، ولم تكن هذه النخب في مستوى، فهم هذه التحولات وأبعاد التغيرات الدولية، وهو الأمر الذي ضيع على التجربة الإعلامية الجزائرية الكثير من الوقت والفرص المهمة، من أجل كسب المهارات والفنيات الجديدة، بسبب سيطرة الإيديولوجيات التقليدية التي تجاوزها الزمن، وهي الآثار التي وجدت آثارها في الممارسة الثقافية، التي بقيت في الإطار التنشيطي العام، ولم تخرج من نسق الإيديولوجي التقليدي.(23)

11- توارث الصراعات

من أصعب ما يوجد المجتمعات، أن تتعرض نخبها إلى الصدامات والصراعات، التي لا تنتج المزيد من الإضافات التاريخية، إلا أن ما ميز السنوات التاريخية في المشهد الثقافي التاريخي في الجزائر، الإصرار على توارث مجموعة من الصراعات غير المنتجة، وهي التي اتخذت من القوالب اللغوية والإيديولوجية والجهوية والفئوية، ووصل الأمر إلى التشرذم والتشتت، وإعلان الحرب التدميرية بين هذه النخب، وأصبحت الأساليب التواصلية، هي اللغة الاقصائية والرفضية، وعدم الاعتراف بالآخر، وأن كل طرف هو الوحيد الذي يمتلك شرعية الوجود وأحقية التأثير وغيرها لا مكانة له.
إن التواصل بين مكونات المشهد الثقافي التاريخي بالطريقة الصدامية والاقصائية، جعل من العملية الإعلامية تفقد الكثير من مصداقيتها المهنية والمعرفية، ولم تتمكن من القيام بما هو مطلوب منها، كونها غرقت في متاهات لم تكن قادرة على فهم نسقها التاريخي، وكانت أكبر من إمكانيات الفكرية والنفسية، وأدرت في الكثير من الحالات إلى الانحراف عن المسار العام المرسوم لها.(24)

12- السباقات الجيلية

يتميز المشهد الثقافي التاريخي عندنا، بمجموعة من السباقات المحمومة بين الفئات المثقفة المختلفة، باعتبار العامل البيولوجي، وبالذات الاختلاف الزمني، وهي الفئات التي تسعى من خلال سلوكاتها التواصلية، ومواقفها التعبيرية إلى ممارسة القطيعة مع الأجيال السابقة، معتبرة أنها تعرضت إلى الكثير

من الضغوط والاكراهات، ممن سبقها والتي بذلت جهودا جبارة في ممارسة احتكار الإبداع، وغلق الأبواب أمامها عبر الاستهتار بمنتوجها واحتقار أعمالها.

ويتميز خطاب الأجيال الجديدة على تضخيم "الأنا" ومنحه العديد من الصفات والمميزات، التي تتصور أنه يكسبها أحقية التواجد وشرعية الممارسة، وأن أهم ما يجعلها تحصل على الانتصار، رفضها الانتماء إلى منظومة ثقافية تراكمية، وأنها ليست جزءا من مسار تاريخي معين.(24)

13- تجليات المخيال الإعلامي

إن تتبع سلوكات الممارسات الإعلامية اليومية، يكشف الكثير من المظاهر التي تجسد التصورات القائمة في الذهن، حول موضوع الخبر التاريخي ، وهي المظاهر التي لها من الخلفيات والأسباب، ما جعلها تأخذ مسارا معينا، وتلتبس بمجموعة من الصفات والخصائص، التي تجسد طبيعتها المكونة لها، وأن بقيت بحاجة إلى الكثير من الدراسات المتخصصة، القادرة على الارتقاء بمستواها وتعديل منظومتها، التي لم تعد قادرة على إسعافها، وتقديم خدمات تاريخية تتلاءم مع متطلبات العصر الجديد.

14- هوية للنخب:

من أبرز ما يجعل النخب قادرة على ممارسة مهامها التاريخية، احتكامها للثوابت المنهجية والمنطقية المتواضع عليها إنسانيا، مما يجعلها تعمل في هذا الإطار دون أن تغفل هويتها الذاتية، ومقومات المنظومة التي تنتمي إليها، كون الإجابات التي تقدمها ستكون موجهة إلى ذلك المجتمع الذي تنتمي إليه، وهي الإجابات التي تقدم القدرة على ممارسة الحلول الفاعلة، وفق النسق الثقافي والنفسي المؤطر للحياة. (26)

وعبر المسيرة اليومية للممارسة الإعلامية، تكاد تفقد النخب الثقافية الإعلامية هويتها الذاتية، التي تميزها عن غيرها على أساس أن المرجعية النموذجية، لم يتم انضاجها وتحيينها حسب الحاجات التاريخية المستجدة للمجتمع، الذي يجعلها تحت تصرف المستجدات القائمة، والتي تمنح المجتمع فرص الاستمرار في التاريخ والارتقاء في الحياة، عبر إثراء المنظومة الذوقية والشعورية التي تؤطرها.(26)

15- دور المؤسسة المعرفية:

من أهم ما يعزز شرعية انخراط الشعوب في التاريخ، فعالية المؤسسة المستأمنة فيها على المنظومة المعرفية، التي تكون الوعاء الفاعل الذي يجعل منها المنبع الذي يتزود منه المجتمع، في تحديد الصيغ المناسبة على توفير إجابات، نوعية وفاعلة للأسئلة التي تواجهها، كما أن هذه المؤسسة الكفيلة بصناعة النخب الجديدة، التي تمنحها للمجتمع كأهم ثروة إستراتيجية، التي تقوم على الأخذ بيدها نحو المستقبل، كما يكون من مهام هذه المؤسسة، إعادة النظر في نتائج التراكمات التاريخية، وتقديم صيغ مناسبة، لما يكون عليه الوضع العقلي والفكري للمجتمع، في إطار تبلور أسلوب حياتي جديد.(28)

وبالرغم من التراكم الكبير والنتائج الأكبر، الناتجة عن الممارسة الطويلة للعملية الثقافية الإعلامية الجزائرية، وتجذرها في الأسبقية التاريخية والتنوع الكبير الذي عرفته، إلا أن هذا التراكم لم يجد من

الأسبقية والمساحة الكافية له، من المؤسسة المستأمنة على المنظومة المعرفية، سواء من ناحية تحيينه أو اختراع الأساليب الكافية والمناسبة لتقديمه للقادم من الأجيال، دون الحديث عن إمكانية القيام بإعادة صياغته وفق المتطلبات الجديدة، مما نتج عنه بروز حالة اليتم وأحيانا الاغتراب، أثناء الممارسة اليومية ثقافيا وإعلاميا.(29)

16- إنضاج المرجعية

إن المنطق الكمي يؤكد تلك التحولات الكبرى، الحاصلة في السنوات الأخيرة من عمر الممارسة الثقافية الإعلامية الجزائرية، سواء من حيث الكم العدد أو التنوع السلوكي، إلا أن المهم والمقدر عند التوقف الفحصي لهذه الممارسة، نقف عند ملاحظة أولية مهمة، تتمثل في تلك الحالة من السكونية في الإنتاج، وعدم ظهور البراعة في الانجاز، كون المرجعية النموذجية للممارسة، لم تدخل عليها ما يناسب من التحويرات المنطقية والضرورية، التي تجعل منها تمتلك قوة الجذب والاقتداء أو التميز.(30)

ومن أهم النتائج الإضافية لهذه الحالة، أن التوالد الجديد للعملية الإعلامية الثقافية، حالة التراجع الكمي والنوعي الذي يجعلها بعيدة عن المرحلة السابقة، وتضاعف حالات ردود الفعل غير المريحة، والتي تزيد من سلوكات الإزاحة النفسية والجغرافية للمجتمع، الذي يكون محروما من تلك الطاقة التي يكون في أمس الحاجة إليها، وبالذات في اللحظات التاريخية الحرجة.(31)

17- التخبط في الممارسة

إن الانجاز الميداني لأي ممارسة ثقافية إعلامية، هو نتاج وجود تصور ذاتي محكوم بضوابط واليات تمتلك الهوية الذاتية، التي تعطي لها التميز الذاتي، وتجعلها لرسالته دلالة معرفية محددة، وهذه العملية في العادة تكون بعيدة عن المزاجية والانطباعية والارتجالية، وإنما تكون محكومة بمواثيقها المنطقية. (32)

وعند النظر في الممارسة اليومية للعملية الثقافية الإعلامية عندنا، يبرز بقوة عامل التخبط والاضطراب في ابسط المعايير المنهجية المتحكمة في طبيعة العملية، كونها خاضعة للأمزجة والاجتهادات البعيدة عن الضوابط الفكرية، التي تجعل من العملية في النهاية خارج دائرة الاهتمام، ولا تجلب لها أدنى مستويات الانتباه، وبالذات من المجموع العام للمجتمع.(33)

وهذا الاضطراب والنخب لا يعني كما يتصور البعض اختلافا وتنوعا، ولا يخلق منافسة تصاعدية، وإنما يؤكد الخلل الكبير في رؤية النخب وتقديرها للعملية الإعلامية الثقافية، ويلحق الكثير من الأضرار الخطيرة التي تعيق إمكانية التطلع إلى مستقبل نوعي لهذه العملية، ويحرمها من فرص التطور والنجاح. (34)

18- الحدثية والتفاعلية

لقد انساقت الممارسة الإعلامية اليومية، وبالذات في المجال الثقافي، بذلك الأسلوب الذي يميل إلى الرصد اليومي للخبر الثقافي، في حيزه المحدود بالزمان والمكان والشخوص، في قوالب تقليدية جاهزة،

تركز على الحدث فقط، وأنه الغاية الأساسية، سواء في مرحلة التبشير به، أو في مرحلة وجوده، مما يجعل العملية الإعلامية مجرد تقارير إخبارية مبتورة عن سياقها الثقافي العام، وبعيدة عن المجال التراكمي التاريخي، الذي يجعل الحدث خارج سياق التاريخ، وأنه بعيد عن مجال الإضافة المعرفية والثقافية للمجهود الاجتماعي العام.(35)

ولذا فإن الأمر يظهر أنه خاضع لمنطق قاموس لفظي محدود الألفاظ، ومبتور المعاني في مجموعة لفظية لا تؤدي المعاني المطلوبة، وتحرم الموضوع من إمكانية الوصول إلى مستوى القضية، والوصول إلى مجال الإبداعي الذي يجعل من قيامه فرصة للنقاش والحوار، المؤدي إلى تعديل الوعي التاريخي والانتقال بالمجموع العام إلى عوالم جديدة.(36)

19- الثورة التحريرية

في المجموع العام للتراكم الممارس في النشاط الإعلامي نجد أن صورة الثورة التحريرية تتحدد صورتها في العالم التالية.

- مضمون يفقد مع الزمن القدرة على الإقناع برأسمالها الرمزي.
- مضمون غير قادرة على التكيف مع متطلبات عالم الإعلام الجديد.
- مضمون قلق من مزاحة المضامين الجديدة في المساحة المخيالية الجماعية.
- مضمون مصر على التمسك بقيم وصاية الماضي ومبتعدة عن تفاعل التاريخ.

إن المرحلة القادمة من تاريخ الممارسة البشرية للعملية الإعلامية، والهيمنة الكبرى للمنطق الجديد في هذه الممارسة، الذي يتميز بتبدل جوهري في القيم التي يبنى عليها، والآفاق الجديدة المفتوحة على كل الاحتمالات، والتي يصعب إمكانية تصور تجسيداتها الميدانية، تجعل من الضروري الشروع في الاستعداد لتحمل تكاليفها، والسعي إلى امتلاك الأدوات الضرورية التي تحقق الانسجام معها. (37)

20- التكاليف والتحولات

إن أهم شرط من شروط الانخراط في المستقبل والعيش فيه بأريحية مناسبة، يكون قدرة النخب على تحمل تكاليف التحولات التاريخية، بعد الحصول على فهم جيد لأبعاد وحقيقة هذه التحولات، مهما كان مجالها وموضوعها، وهو ما يؤكد مصداقية النخب.(38)

وفي المجال الثقافي الإعلامي، يكون من المناسبة امتحان النخب الجزائرية، في مدي تعاطيها مع التحولات التاريخية الجارية في عالم اليوم، وعند رصد طبيعة المنتوج الثقافي والسلوكات الإعلامية الممارسة في الواقع، يبدو المؤشرات الأولية، وبمجرد وضعها تحت مجهر الملاحظة الأولية، بعيدا عن المزاجية والعاطفية، يتبين أن هذه النخب بعيدة عن مساحة الإدراك الجيد، ولم تظهر ما يمكن الاطمئنان إليه على أنه قدرات كافية لإمكانية تحمل التكاليف الباهظة للتحولات الدولية، وفي مقدمتها التحولات المعرفية والتقنية، وبالذات في نوعية المنتوج الثقافي، الذي يبقى ليس من ناحية المضمون، وإنما من ناحية الجانب الشكلي والإخراجي، خارج عن إطار الاهتمام التاريخي للمواطن، كما أن الصورة تكاد تكون

متطابقة مع المجال الثقافي، الأمر الذي يدعو للقلق والحيرة والتوجس من الأيام القادمة ومصير هذه الممارسة.(39)

21- التغيير البنيوي

من أهم طبيعة المعرفة الإنسانية، أنها متغيرة، وخاضعة لتلك التحولات الكبرى التي تطرحها الأيام، وفي مقدمتها الأسئلة الملحة التي تظهر نتيجة الظروف الطارئة، التي تأتي نتيجة القوانين الطبيعية، التي تفرزها الحركة الحياة، وتكون تلك التحولات ناتجة من المشاكل والصعوبات التي تعترض مسيرة الإنسان، في طريق تحقيق المراد من الوجود.

وتطور المعرفة من أهم علامات منطق الطبيعة الإنسانية، وهي ليست حكرا على منطقة من المناطق ولا شعب من الشعوب، وإنما هي متحركة وتستجيب لما يستجد من الظروف، وما يوجد من الأسئلة، وما يطرح من صعوبات، وما يكون من تطلعات، ويتزامن تطور المعرفة بوجود نسق كوني لمسيرة واستيعاب هذا التطور، كونه الحامل الأساسي لشروط نجاحها وتجسيدها في الواقع، كما يترافق التطور المعرفي مع تفاعل البنيات المادية والأدبية، للتعامل النوعي مع المستجدات ونتائج تطور المعرفة الإنسانية.(40)

وهو الأمر الذي يجعل الكل في نطاق التغير، كونه الخاصية الأهم في الطبيعة الكونية للحياة المتغيرة، وأن أهم ميزات التعايش، أن تمتلك النخب الإمكانيات التي تجعلها تنبذ الثبات والبقاء في نمط معين، دون التبدل والتغير الذي يؤكد استمراريتها وتجددها، ما يمنح الأجيال الأمل في الحصول على الاعتراف التاريخي، في إطار الانتماء الواسع.(41)

22- ألفة الانخراط

من خلال الرصد اليومي لمكانة الثقافة التاريخية الجزائرية في الفضاءات التكنولوجية الحديثة، ومقاربة الأساليب الممارسة في العملية الإعلامية الدولية، نحصل على نتيجة أولية، مفادها أن المسافة بين المنتوج المحلي والممارسة الذاتية، وبين العوالم التكنولوجية الاتصالية الحديثة، تبقى بعيدة ومحرومة من الفرصة الرهيبة في الترويج والتعريف بهذا المنتوج، وأن القدرات الإعلامية ضعيفة مقارنة بينها وبين الموجة التنافسية للثقافات الأخرى.(42)

والمشكلة الأساسية، تكمن في تلك الحالة التي تظهر في التردد والتوجس، وعدم القدرة على التعاطي المريح من الثورات الاتصالية التكنولوجية الجديدة، وما تزال النفسية الإبداعية متوجسة من الأساليب التواصلية المتفاعلة والقائمة على السرعة الفائقة، والتميز في التقديم والنوعية في العرض، والأناقة في التعامل والنوعية في المنافسة، والجدارة في الحضور.

وهو التردد الذي يتجلى، بداية في مباشر الفعل الثقافي مرورا في التعامل مع الفاعلين في المشهد، وصولا إلى تقديمه في المشهد العام، مما يجعل الممارسة اليومية فاقدة لأهم عناصر العملية الإعلامية الجديدة، وتظهرها في سياق العاجزة عن الانخراط في عالم التكنولوجيات المعاصرة.(43)

23- الانتقال من الوضعية

ومن الشروط التاريخية الواجب تحققها في فضاء الممارسة الإعلامية، إحداث تلك الحركة التي يتم فيها، تبديل مجموعة من المفاهيم الجوهرية التي لها علاقة بالممارسة اليومية، وبالذات فيما يتعلق بجوهر هذه العملية، والمتمثل في الإنسان نفسه، الذي يكون من الحتمي التخلي السريع وغير المكلف عن مفهوم الصحفي الموظف، الذي يكون أقرب إلى تلك الصورة التي يختزنها الكاتب في العصور التقليدية، والذي يقوم بمهام التدوين الأحداث وتوثيق المعلومات، دون أن يتحمل تكاليف التعاطي معها ومحاولة إدراك معانيها وأبعادها.(44)

والذهاب إلى مرحلة أن يكون الإنسان في العملية الإعلامية في مستوى وظيفة المثقف، الذي يساهم في صناعة المعني والكشف عن الأبعاد التاريخية للحدث الثقافي، وتخليصه من قيوده التقليدية، وفي هذه المرحلة تكون العملية الإعلامية قد تجاوزت العوائق الذاتية، ووصلت إلى المستوى الذي يجعلها تنسجم مع معطيات العصر الجديد، كون الأمر يبقى في النهاية مربوط في نتائجه بالوضعية التاريخية التي يكون فيه المعنى الأساسي للإنسان. (45) .

24- الهوامش

1. – عملت جهود الحركة الوطنية على ابراز الذات الجزائرية من خلال الفصل بينها وبين الذات الفرنسية الاستعمارية من خلال ابراز الثقافة التاريخية المحلية.
2. – لم يترك الاستعمار الفرنسي عبر 132 سنة من خيار للشعب الجزائري عامة والنخب من فرصة سوى الاسلوب الصدامي
3. – من امثال عمر بن قدور والشيخ طفيش . انظر . تاريخ الصحافة العربية في الجزائر. مفدي زكريا . تحقيق احمد حمدي. مؤسسة مفدي زكريا.2003.
4. – عرفت التجربة الاعلامية الجزائرية تحولا عميقا منذ احداث اكتوبر سنة 1988 مما نتج عنه تعددية اعلامية كبيرة.
5. – تتعدد التعاريف حسب مجالات استعمالها انظر مفهوم الثقافة التاريخية في العلوم الاجتماعية – دوني كوش – ترجمة:د.قاسم المقداد . منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق – 2002 .
6. – انظر . العولمة والفكر العربي المعاصر . الحبيب الجنحاني . دار الشروق. بيروت . 2000

7. – انظر . علي حرب، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، دار الطليعة، بيروت، 1994.
8. – انظر حركة الاعلام الثقافي في الجزائر . محمد بغداد . دار الحكمة. الجزائر. 2009
9. – الحبيب الجنحاني . المرجع السابق
10. دراسات تاريخية .عماد الدين خليل . دار ابن كثير .ص 12 . دمشق 1989
11. – محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، دار الطليعة، بيروت، 1988.
12. – علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
13. – مجلة الإعلامي شهر اوت 2011 العدد 50 هيئة المُلتقى الإعلامي العربي . عمان.2011
14. –محمد أركون . المرجع السابق
15. – المرجع نفسه
16. – انظر استراتيجيات الجودة في صناعة الاعلام الثقافي . محمد بغداد . دار قرطبة . الجزائر . 2014
17. – المرجع نفسه
18. – النقد الإعلامي . هباس الحربي . عمان. 2015 .
19. – انظر. العنف ووسائل الإعلام. سؤدد الآلوسي.. عمان. 2015 –
20. – انظر. وسائل الإعلام والحرب . سؤدد الآلوسي و د. موسى الفهد .دار اسامة. 2012. عمان
21. – انظر. الإعلام الحكومي ورهانات المستقبل . بسام عبد الرحمن الجرايدة. دار اسامة. عمان 2015 .
22. – انظر. وسائل الإعلام النشأة والتطور . فؤاد الساري . دار اسامة. عمان . 2015
23. – انظر. الاعلام الإخباري في الفضائيات. ليندة ضيف . دار اسامة. عمان . 2015
24. – انظر. الإعلام الثقافي . جدليات وتحديات – عزام ابو الحمام. دار اسامة. عمان . 2015
25. – انظر حركة الاعلام الثقافي في الجزائر. .المرجع السابق
26. – انظر. الاستعمار الإلكتروني والإعلام. عبير شفيق الرحباني. دار اسامة. عمان . 2015
27. . انظر – الإعلام الجديد . عماد الدين القيسي . دار النفائس بيروت . 2012
28. – انظر. مشروع مصرف استثمار اعلامي . إسماعيل حامد فرحان الدليمي . دار الجيل . بيروت 2001.
29. –– انظر. الإعلام الحكومي ورهانات المستقبل . بسام عبد الرحمن الجرايدة.. المرجع السابق
30. –انظر. مدخل إلى الإعلام الإسلامي الفضائي . مصطفى بن أحمد كناكر دار الجيل . بيروت 1999.
31. –– انظر. وسائل الإعلام النشأة والتطور . فؤاد الساري. .المرجع السابق

32. – انظر. الاعلام الديني في الجزائر . محمد بغداد . دار الحكمة . الجزائر . 2013
33. – التخطيط العلمي للإعلام الإسلامي . فاروق ناجي محمود. دار الكتاب العربي . بيروت . 2011
34. — انظر . لإعلام والسلطة" إعلام السلطة وسلطة الإعلام. فاروق أبو زيد. دار عالم الكتب . بالقاهرة. 1999
35. – صناعة الإعلام الإذاعي و التلفزيوني المقومات الفنية و المهنية لرجل الإعلام الإسلامي . طالب فرحان .دار الشروق . بيروت .1999.
36. – انظر. العنف ووسائل الإعلام. سؤدد الآلوسي. المرجع السابق
37. – انظر . تاريخ الصحافة العربية في الجزائر. مفدي زكريا . تحقيق احمد حمدي. المرجع السابق
38. – – النقد الإعلامي . هباس الحربي. المرجع السابق
39. – استراتيجيات الجودة . محمد بغداد . المرجع السابق
40. – انظر حركة الاعلام الثقافي في الجزائر. .المرجع السابق
41. – انظر . لإعلام والسلطة" إعلام السلطة وسلطة الإعلام. فاروق أبو زيد. المرجع السابق
42. – علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي. المرجع السابق
43. – انظر . العولمة والفكر العربي المعاصر . الحبيب الجنحاني . المرجع السابق
44. – .انظر . صناعة الإعلام الإذاعي و التلفزيوني المقومات الفنية و المهنية لرجل الإعلام الإسلامي . طالب فرحان. المرجع السابق
45. – ان الانسان هو محور كل محاولة تاريخية ناجحة لصناعة الحضارة في اي مجال من مجالات الانسان واهماله هو الفشل ذاته.